موضوعات الأدب الإسلامي

الأدب الإسلامي منفتح على كل الموضوعات، فليس هناك موضوع إسلامي وغير إسلامي، فكل موضوعات الكون والإنسان والحياة والواقع وما وراء الواقع كلها مادة صالحة للأدب الإسلامي شريطة أن تمر في نهر الإسلام العظيم الذي يشكلها بطابعه الخاص الذي يميزها عن غيرها.

·ينبغي على الأديب الإسلامي أن لا يعيد في أدبه حقائق الكون والدين والعقيدة في شكل صياغات فلسفية وفكرية جامدة أو وعظية مباشرة، بل عليه أن يفيض من روحه ومشاعره وطريقة أدائه وكل إحساسات الجمال المودعة في النفس البشرية حتى يلتقي الفن مع الموضوع في صياغة لها تأثيرها الحسي والإدراكي على المتلقي، وحتى تظهر الأمور بصيغتها الأصلية الجمالية المتحققة في الأدب ومدى تحقيقه للعناصر الجمالية المطلقة في الأدب، والناظر في الآداب المنتشرة على بقعة الكرة الأرضية عربية أو غير عربية يرى أنها لا تنبثق من هذا التصور الإسلامي الشامل للجمال، فجل هذه الآداب منحرف بطبيعة انبثاقه من تصور خاطئ للإنسان، يرى الإنسان نصف مخلوق تشوهه المتع الجسدية والاستغراق في مستنقع الشهوة الطاحنة .

مذهب الإسلام في التعبير:

ينطلق التعبير الإسلامي من واقع الدوائر الثلاث السابقة (الكون والإنسان والحياة)، حيث يتوخى التعبير في هذا الأدب أن يعرض الواقع ويصوره جماليا لهدف وغاية، فالغاية في الأدب الإسلامي حقيقة واقعة وضرورة لازمة، بل حتمية فيه. ولكن واقعية الإسلام ليست منقوصة أو مضخمة، بل إنها تعطي لكل شيء وزنه الخاص فيه فلا يطغى جانب على آخر ولا يغيب جانب ويظهر آخر، فإنه عندما يصور الضعف الإنساني بدون تهويل تظهره بحجمه الحقيقي متوسلة من خلال هذا التصوير إظهار العنصر المقابل، وهو لحظة القوة الإنسانية المتسقة مع فطرة الإنسان ودوره في الحياة، وبالتالي فإن الأدب الإسلامي بغاياته الواضحة يريد أن ينقل الواقع إلى ما يجب أن يكون عليه هذا الواقع، لا ما هو عليه بصفته الحالية.

وقد تلتبس هذه النقطة بما يشاع عن أدب الإسلام، بأنه يعرض الأفكار مجردة حتى يتحول التعبير إلى عملية نظم مجردة من الانفعال والإحساس، وهذه فكرة ليست صائبة، فكل الأفكار التي يعبر عنها الإنسان قد يحسن الإنسان تصويرها، وقد يخفق في هذا التعبير، وهذه ليست سلبية تلصق بأدب الإسلام دون سواه، فالأدباء الواقعيون في مستهل أدب العرب الحديث قد وقعوا في هذا الفخ، وأدباء النزعة الماركسية لم يتخلصوا منه، وهذا عائد لطبيعة الأديب أولا وقبل كل شيء، وهو خاضع بطبيعة الحال إلى الأداء الفني وامتلاك الأدوات الفنية،

والسمات الشخصية، وهي مختلفة ومتفاوتة عند بني البشر، ولهذا تجد التعبير الأدبي الجمالي الرائع في الأدب الإسلامي كما تجد التعبير الإسلامي الخاوي من الجمال وهذا ما لم ينج منه اتجاه أدبي أو فني.

وهنا قد يثار السؤال التالي : هل الأدب الإسلامي أدب إمتاعي؟

يحقق الأدب بشكل عام وظائف عدة، ألمحت إلى بعضها سابقا، وتبقى الوظيفة الإمتاعية هي المقصود الأول لكل أدب، إذ العقد بينك وبين القارئ تقديم أدب ممتع حتى يكون قادرا باستعداده النفسي أن يتابعك، فإن فقد الأدب هذه الخاصية فَقَدَ قيمة كبرى في أهمية التواصل مع الآخرين، ولا شك أن الأدب ينشأ من أجل إنشاء رابطة شعورية وجدانية مع المتلقي، تقوم على الإمتاع أولا، ولكن الأدب الإسلامي الذي يحرص كل الحرص على الناحية الإمتاعية فيما يُنْتِج، إلا أنها ليست هي المقصودة في ذاتها، بل إن الإمتاع في الأدب الإسلامي وسيلة لغاية أخرى، فإذا تحقق الإبداع في النص من خلال نقل الشعور والإمتاع للآخرين، لا بد أن يحقق الغايات الأخرى، فلا يتنازل الأدب الإسلامي عن الفكرة والهدف والغاية، ودون أن يتنازل كذلك عن قواعد الفن الأصيل.

ومن جانب آخر، يمتلك هذا الأدب – بفعل استناده إلى النظرة الكلية عن الكون والإنسان والحياة واتصاله بالعقيدة – فاعلية خارقة في تأسيس مبادئ الحياة الصحيحة في النفس، وقادر على إثارة المشاعر في صميم النفس البشرية، فتتحول هذه المشاعر المتعددة في نفس الإنسان إلى طاقة حركية، لتدفع الإنسان في مسيرته الحياتية، وحمل رسالته الدعوية لبناء حضارة نافعة قائمة على الروح والمادة في توازن تام، وانتماء إلى المشاعر الإنسانية التي تعم المجتمع الإسلامي، وتحمل الخير لغيرها، في توافق جدلي بين الشكل والمضمون، المضمون المبني على قواعد الإسلام وأفكاره، والشكل الفني ؛ فليس هناك انفصال بين شكل العمل الأدبي ومضمونه في الإسلام، فالاتجاه العام لأداء التعبير عن قيم الإسلام لم تفصل بين قيمة الشكل وقيمة المضمون، فإن للشيء الجميل طريقا جميلا يقود إليه حتما.

الجمال في التصور الإسلامي:

ينبع الجمال في التصور الإسلامي من مظاهر الكون أساسا، التي تجمع إلى جانب المعرفة بالحقيقة المادية المشخصة الجانب الجمال بقيمة معنوية على مستوى الإبداع في الخلق والتكوين، فقد أشار القرآن إلى ذلك مستخدما صيغة جمالية تؤدي المعنى بأبعادها النفسية اللافتة للجمال في الكون، فعنصر الجمال عميق في هذا الوجود يتبدى في كل كائناته، والإنسان مطالب أن يفتح حسه لهذا الجمال ويتأثر به ليكون حافزا لحاسة الجمال المودعة فيه، فتفيض في تعبيره جمالا موازيا لهذا الجمال الكوني الرائع.

ومن خلال هذا التصور الإسلامي للجمال يلاحظ الإنسان أن أصل الخلق من مادة واحدة له إيحاءات كبرى ودلالات عظيمة، فكل ما خلق الله من كون وإنسان وحياة تشترك في أصل الخلق من عناصر مشتركة واحدة، ليجعل لهذا الخلق فكرة اكتمال الدائرة في التصور الإسلامي، فعلينا أن نلاحظ مثلا صلة الإنسان بالكون وصلة الإنسان بالحياة والعناصر الأخرى الحية وغير الحية لنرى اكتمال الدائرة حيث أصل النشأة والمصير في صلة الإنسان بخالقه.

وحرصت النظرة الجمالية في الإسلام أن يظل الإنسان إنسانا لا يرتكس إلى درك الحيوان، فيعرف دوره في الحياة، كما أراده الله، وبذلك يتحقق الجمال بمفهومه الواسع.

المراجع:

1-أبو الحسن الندوي: نظرات في الأدب

2-عبد الله محمد العريقش: الأدب في خدمة الحياة و العقيدة